

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يذكرون الله وكأنما على رؤوسهم الطير

الصبر على الطاعة من أفضل أعمال البر

■ كان صبر يوسف

عن مطاوعة امرأة

العزیز أكمل

من صبره على

إلقاء إخوته له

في الحب وبيعه

لأنها أمور جرت

بغير اختياره

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما أعطى أحد من عطاء خير وأوسع من



■ كثير من الخلق

يسهل عليهم

الصبر على

المصائب والبلايا

وعن المعاصي

ولكن قليلاً منهم

من يصبر على

طاعة الله

قال الشافعي: «رأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة، يدور نهاره اجمع حافياً راجلاً على القنبات يعلفهن الغناء، فإذا أتى نصفه صبر والنصف الآخر شكر، وقد ذكر الصبر في القرآن في تسعين موضعاً في موطن المدح والنداء والأمر به، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو أنواع:

1. الصبر على طاعة الله، وهو الفضلها.

2. الصبر عن معصية الله عن وجل، وهو يلي النوع الأول

في الفضل.

3. الصبر على امتحان الله عن وجل.

قال ابن القيم رحمه الله: «فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه».

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها اكل من صبره على إلقاء إخوته له في الحب، وبيعه، وتقريبهم بيته وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختيار، ولا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، أما صبره عن المعصية، قصير الاختيار ورضاء، وحاربة للنفس، ولا ينميا مع الأسباب التي تلوى معها ذواعي الموافقة، فإنه كان شاعياً، وداعية الشيايط إليها قوية، وغزياً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلد غريبته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله، ويمتلئ والملوك أيضاً ليس له وأزع كوازع الحر، والمرأة جميلة، وذات منصب، وهي سيدته، وقد غاب الرقيب، وهي الداعية له إلى نفسها، والجريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها صبر اختياراً وإيماناً لما عند الله، وابن هذا من صبره في الحب على ما ليس من كسبه؟!

وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات اكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك للمعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض

نزلت في جذر قلوب الرجال قبل هبوط الوحي بكتاب الله

الأمانة.. ضمير حي إلى جانب فهم صحيح للقرآن والسنة

الإاماة التي تدعو الى رعاية الحقوق، وتحصن عن الدنيا، لا تكون بهذه المثابة الا اذا استقرت في وجدان المرء، ورست في أعماله، وهيمت على الداني والقاصي من مشاعره، وذلك معنى حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فلعلموا من القرآن وعلموا من السنة، والعلم بالشريعة لا يغني عن العمل بها، والامانة ضمير حي الى جانب الفهم الصحيح للقرآن والسنة.

واذا مات الضمير انتزعت الامانة، فما يبقى عن المرء تريد للأيات، ولا دراسة للنس، وأدعياه الاسلام يزعمون للناس وقد يزعمون لانفسهم أنهم ائمة، ولكن هيهات ان تستقر الامانة في قلب تنكر للحق ومن ثم يستطرد حذيفة في وصفه، لتسرب الامانة من القلوب التي تتخلل فيها البين، فيروى عن الرسول: «ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال: ينأى الرجل التومة فتنتقض الامانة من قلبه فيقبل أثرها مثل أثر اللجل كالتيور التي تظهر في اليد مثلاً في استخدام الأدوات الخشنة ثم قال: فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الامانة؛ حتى يُقال: «ان في بني فلان رجلاً أميناً، وحتى يُقال للرجل: ما أجده ما أقره ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان، والحديث يصور انتزاع الامانة من القلوب الخائنة تصويراً مخرجاً فهي كذكريات الخير في النفوس الشريرة، تمر بها وليست منها، وقد تترك من مرها اثراً لأعما، بيد أنها لا تحيي ضميراً مات،



واصبح صاحبه يزن الناس على أساس أثرته وشهوته، غير مكتر بكرر أو ايمان؟! ان الامانة فضيلة ضخمة، لا يستطيع حملها الرجال المهازيل، وقد ضرب الله المثل لنضامتها، فابان أنها تظل كامل الوجود فلا يتغيى للانسان ان يستهين بها، أو يفرط في حقها. قال الله تعالى: «اناعرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابان ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولاً»، والظلم والجهل اقلان عرضتا للفطرة الاولى، وغنى الانسان جهادهما، فلن يخلص له ايمان، الا اذا تقاه من الظلم: «الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن» ولن تخلص له تقوى الا اذا تقاهما من

الجهالة: «انما يخشى الله من عباده العلماء»، ولئلك يعد ان تقرا الآية التي حملت الانسان الامانة تجد ان الذين غلبهم الظلم والجهل، خانوا وانفقوا واشركوا، فحق عليهم العقاب، ولم تكن السلامة الا لاهل الايمان والامانة: «ليعبد الله المتقين والفقهاء والمشركون والمشركت والمشركت ويتوب الى الله على المؤمنين والمؤمنات وكان له غفورا رحيماً».

الوفاء اذا ابرم المسلم عقدا فوجب ان يحترمه، وانا اعطى عهداً فوجب ان يمسزمه ومن ايمان ان يكون المرء عند كلمته التي قالها، ينتهي اليها كما ينتهي لانه عن شططاته: لا يعرف بين الناس بان كلمته موثق غليظ، لا خوف من نقضها ولا مطع في ما صنع، ثم تقدم...

قال انس: فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بالسيف ووجعته بالريح ورمية بسهم، ووجدناه وقد مثل به المشركون، فما عرفه الا اخته، بشاعة فيه، او بيتانه... قال انس: كنا نرى ان هذه الآية نزلت فيه وفي اشباهه: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فممنهم من قضى نحبه وممنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً».

باطلاً، «من ام الناس قليخفف فإن فيهم الضعيف...» الحديث. وكان الصحابة رضوان الله عليهم الذين كان يؤمهم الرسول صلى الله عليه وسلم في المغرب أحياناً بالأعراف والصفات، والذين ائهم ابوبكر الصديق مرة بالبرقة كلها في صلاة الصبح، والذين كثيرا ما كان يؤمهم عمر في الصبح بيوسف، وهو، والتخل، ليس فيهم مريض ولا ضعيف؟ وتدريب الرسول صلى الله عليه وسلم على معال رضى الله عنه لانه كان يصلي معه العشاء ثم يذهب ليؤم قومه بعد ذلك، وقد امهم يوما بالبرقة في الركعة الاولى من العشاء، وبالتقى في الثانية، وعندما خرج اعرابي من صلاته، ثال منه معاد يانه منافق! ومن أجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما

أين هذا كله مما عليه الأمة الآن؟! ففتين ان احتجاج البعض بهذا الحديث ليس في موضع النزاع، فمن فعل كما فعل معاذ يكون فتنائاً خطا، ولكن من من الأمة الآن يستطيع ان يفعل ذلك ولو كان قذا؟!

اعجب من هؤلاء جميعاً من يحيي لبه بالرخص، والتواجد، والضرب بالأقدام على الأرض، فإذا حان وقت صلاة الصبح تفرق جهم، ومن يلي ضلتي يهم بقصر الفضل من غير اطمئنان ولا خشوع.

لقد صاغ العلامة ابن القيم رحمه الله حال هذه الطائفة الصوفية - التي أسست على الكسل كما قال الشافعي، شعرا، حيث ذكر جهده واجتهادهم عند السماع، والرخص، والتواجد، الذي هو دين عباد العجل، عندما اتخذ لهم السامري عجلا جسدا له خوار، فقاموا حواليه يرفسون ويتواجدون حتى يقع أحدهم مغشيا عليه، فالرخص، والتواجد، والسماع الصوفي ليس من الذكر الذي شرعه الله لعباده على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان هو وأصحابه يذكرون الله وكأنما على رؤوسهم الطير من الوفاء والسكينة، فلما لنا له يصودهم عن سماع آيات القرآن والعلم.

عُرف بالحلم والأناة ولين الجانب والرفق

أبوبكر السبّاق في فعل الخيرات ومكارم الأخلاق

حتى عُرف بالحلم والأناة، ولين الجانب والرفق، وهذا لا يعني أن ابا بكر لم يكن بغضب، وإنما كان غضبه لله تعالى، فإذا رأى محارم الله قد انتهكت غضب لذلك غضبا شديدا.

لقد عاش بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مماثلا ومتكفرا» وعابلا بقوله تعالى: «وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين».

بلى أحب أن يغفر الله لي

كان ابوبكر يغول مسلط بن أناة، فلما قال في عائشة -رضي الله عنها- ما قال (حديث الألف المشهور) أقسم بالله أبو بكر ألا ينفعه أبدا، فلما أنزل الله -عز وجل-: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليفقوا ولينصنفوا» إلا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» [التور: 22] قال أبو بكر: والله ألي أحب أن يغفر الله لي، فرجع الى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

ولقد فهم الصديق من الآية أن على المؤمن التخلق بأخلاق الله، فيعفو عن الهفوات والزلات والزلز، فإن فعل فالله يعفو عنه ويسترد ذنوبه، وكما تدب نداء، والله سبحانه قال: «ألا تحبون أن يغفر الله لكم، اي: كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك الغفوا لمن ذنوبكم. وكما أن في الآية من حلق على شيء إلا يفعله، فرأى أن فعله أولى من تركه، آناه وكفر عن بيمته. وقال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى: من حيث لطف الله بالذقة العصاة بهذا اللطف.

لقد دلت هذه الآية على أن ابا بكر أفضل الناس عند النبي -صلى الله عليه وسلم-: لأن الله وصفه بصفات عجيبة في هذه الآية، دلت على علو شأنه في الدين، أورد الرازي في تفسيره أربع عشرة صفة مستنبطة من هذه الآية: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة» منها: أنه وصفه بأنه صاحب الفضل على الإطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص، والفضل يدخل فيه الإفضال، وذلك يدخل على أنه كان فاضلا على الإطلاق، وكان مفضلا على الإطلاق، ومنها أنه لما وصفه تعالى بأنه «أولو الفضل والسعة» بالجمع لا بالواحد وبالعجوم لا بالخصوص على سبيل المدح، وجب أن يقال: أنه كان خالبا عن المعصية؛ لأن المنود الى هذا الحد لا يكون من أهل النار.

اتصف الصديق بالأخلاق الحميدة، والصفات الرفيعة ومسابقتها في الخيرات حتى صار في الخير قدوة، وفي مكارم الأخلاق أسوة، وكان حريضا أشد الحرص على الخيرات، فقد أبان أن ما يمكن أن يقوم به المرء اليوم قد يكون غير ممكن في الغد، فاليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل، ولذلك كان من المسارعين في الخيرات: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من أصبح منكم اليوم صائما؟» قال أبوبكر: آنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبوبكر: آنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟» قال أبوبكر: آنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضا؟» قال أبو بكر: آنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة».

كظمه للغيظ

قال ابو هريرة: ان رجلا شتم ابا بكر ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس، فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- يعجب ويبتسم، فلما أكثر الرجل رد عليه أبو بكر بعض قوله، فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقام، فحلفه أبوبكر وقال: يا رسول الله، كان يستمني وأنت جالس، فلما أكثر رددت عليه بعض قوله غضبت وقلت: فقال عليه الصلاة والسلام: «انه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأفعد مع الشيطان»، ثم قال: «يا ابا بكر، ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمثلثة فيغضي عنها له -عز وجل- الا أعز الله بها نصرا، وما فتح رجل باب عليه يريد بها صلة الا أزاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة الا أزاده الله بها قوة»، ان الصديق رضي الله عنه اتصف بكظم الغيظ ولكنه رد ما قلن الله به بسكت هذا الرجل، فرغبه النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحلم والأناة، وأرشدته الى ضرورة تحليه بالصبر في مواطن الغيظ، فإن الحلم وكظم الغيظ مما يزيد المرء ويجمله في أعين الناس، ويرفع قدره عند الله تعالى.

ويبين لنا ذلك من هذا الموقف حرص الصديق على عدم الغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- للمساغة الى إرضائه، وفي ذم الغضب للنفس، والتنبه عنه والتحذير منه، واعتزال الانبياء للمجالس التي يحضرها الشيطان، وبيان الفضل للمظلوم الصابر المحتسب لأجره والثواب، وقبه حت على العطايا، وصلة الأرحام، وذم للمسالة وأهلها.

وكل الصديق متمسكا بالحلم وكظم الغيظ



تزكية الأزواج بالتدبر والتأمل وأداء العبادات

البناء التعبدى والأخلاقى في العهد المكي

قال: الرحمن الرحيم: قال الله تعالى: «التي على عيدي، وإذا قال: مالك يوم الدين: قال: مجدي عيدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عيدي ولعدي ما سأل، فإذا قال: أعبد الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعدي ولعدي ما سأل».

طمانينة النفس وراحتها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى، وقد جعلت فرة عينه في الصلاة، وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة كثيرا من السنن والنوافل ليزيدوا صلة بربهم، وتأمين بها نفوسهم، وتصبح الصلاة سلاحا مهما لحل همومهم ومشاكلهم.

الصلاة حاجز عن المعاصي: قال تعالى: «اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكّر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون».

كان الصحابة رضي الله عنهم عندما يؤدون صلاتهم تتخبر بها نفوسهم، وتمدهم بقوة دافعة لفعل الخيرات والابتعاد عن المنكرات، فكانت لهم سباجا ميثقا حماهم من الوقوع في المعاصي.

في الإسلام، فإن النفس البشرية إذا لم تتطهر

من أدرانها وتتصل بخالفها لا تقوم بالتكاليف الشرعية الملقاة عليها، والعبادة والمداومة عليها تعطي الروح قوفا وقوفا وإذا ودقعا قوفا إلى الغيام بما تؤم به.

إن الصلاة تأتي في مقدمة العبادات التي لها أثر عظيم في تزكية روح المسلم، ولعل من أبرز أنارها التي أصابت الرعيل الأول.

الاستجابة لأمر الله تعالى وإظهار العبودية له سبحانه: وقد ألى الله تعالى على عباده المؤمنين الذين استجابوا لأمره، فقال عز وجل: «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وآزره شؤرى بينهم ومما رزقناهم ينفقون» [الشورى: 38].

وكان الرعيل الأول يرى أن لكل عمل من أعمال الصلاة عبودية خاصة وتأثيرا في النفس وتزكية للروح.

متابعة العبد ربه: وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا من مشاهد هذه المناجاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عيدي نصفين، ولعدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبيدي، وإذا

تزكية أرواح الرعيل الأول بانواع العبادات: رزى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على تزكية أرواحهم وارشدهم إلى الطريق التي تساعدهم على تحقيق ذلك المطلب من خلال القرآن الكريم ومن أمهها:

التدبر في كون الله ومخلوقاته، وفي كتاب الله تعالى.

التأمل في علم الله الشامل وإحاطته الكاملة بكل ما في الكون، بل ما في عالم الغيب والشهادة.

عبادة الله عز وجل، من أعظم الوسائل لتربية الروح وإجلها فدرا، إذ العبادة غاية التذلل لله سبحانه ولا يستحقها إلا الله وحده.

والعبادات التي تسمو بالروح وتتهر النفس نوعان:

النوع الأول: العبادات المفروضة كالطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وغيرها.

النوع الثاني: العبادات بمعناها الواسع، ويشمل كل شيء يتنوّى به التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فهو عبادة يلاب صاحبها، وقربى روحه تربية حسنة.

إن تزكية الروح بالصلاة وتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والتسبيح له سبحانه أمر مهم